المظاهر الصرفية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل

الدكتور سليمان بن علي

المظاهر الصرفية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل

دراسة نقدية لبعض الترجمات الفرنسية والإنجليزية

د. سليمان بن عليّ(*)

ملخص البحث

تناولت في هذه الدراسة مجموعةً من الترجمات الفرنسية والإنجليزية التي لقيتْ رواجاً معتبراً عند الدارسين، لِما عُرفت به من دقّة في أداء المعاني القرآنية من جهة، ولِما عُرف عن أصحابها من أمانة وحُسن نيّة في نقل تلك المعاني إلى الآخر من جهة ثانية. وألخّص أهمّ معالم هذه الدراسة فيما يلي:

- ابتدأت هذه الدراسة بتمهيد بيّنتُ فيه ماهية الصيغة الصرفية، وكيفية عمل النظام الصرفي، وضرورة مراعاة السياق التركيبي عند البحث عن معنى صيغةٍ ما.
- اهتممت بإظهار تعدد المعنى للمبنى الواحد، أو لنَقل للصيغة الواحدة، وضربت لذلك أمثلة من القرآن الكريم واختلاف المفسرين - ومن ثمّ المترجمين - في الوقوف على المعنى المراد منها.
- ركّزت في الحديث عن التعريف - وهو معنىً من معاني التصريف كما سيتّضح - على بعض دلالات (ال) وإلصاقها ببعض الصيغ الصرفيّة كصيغة صفة الفاعل، وصيغة (أفعل)، وغيرهما.
- كما عرّجت على بعض المعاني المستفادة من صيغٍ غير صيغها المعهودة، كدلالة صيغة صفة الفاعل على معنى صفة المفعول، أو كدلالة بعض صيغ المبالغة على معنى غير المبالغة...، وغير ذلك من القضايا الجزئية.
- وتطرقت في الأخير إلى بعض الإيحاءات الدلالية في بعض الصيغ في القرآن، وكذا بعض الاختيارات القرآنية لصيغ دون أخرى.

(*) أستاذ اللغويات بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الأغواط بالجزائر.

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تُعَدّ الصيغ الصرفية(١) هيئات أو قوالب حاصلة من ترتيب الحروف وحركاتها وسكناتها(٢)، وهي بذلك تمثّل أبنيةً للكلمات من حيث عددُ حروفها المرتّبة وحركاتها المعيّنة وسكونها، مع اعتبار الزائدة والأصلية، كلٌّ في موضعه. والعِلْمُ الذي يهتم بهذه الأمور وغيرها يُسمى (الصَّرْف) أو (التصريف)، وهو - على ما حكى التَّهانوي - جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصيغة(٣).

ويرى د. تمّام حسّان أن النظام الصرفي في اللّغة العربية يتكون من ثلاث دعائم هامّة، يمكن رصدها فيما يلي:

١) مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها إلى التقسيم، أي تقسيم الكلم كالاسمية والفعلية والحرفية، ويرجع بعضها إلى التصريف (تصريف الصيغ) كالإفراد، وفروعه، والتكلم وفروعه، وكالتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، ويرجع بعضها الآخر إلى مقولات الصياغة الصرفية كالطلب والصيرورة والمطاوعة والألوان والأدواء والحركة والاضطراب، أو إلى العلاقات النحوية كالتعدية والتأكيد...، وهلم جرّاً.

---

(١) يفرّق بعض المحدَثين بين الصيغة والميزان بأن الأولى مبنى صرفي، والثاني مبنى صوتي، مثال ذلك أن صيغة فعل الأمر (قِ) - من وقى - هي (افْعَلْ)، ولكن وزنه هو ما يقابل هذا الحرف من الحروف الأصول، وهو (ع). وقد يتّفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان، فالفعل (ضرب) صيغته (فَعَل) وميزانه (فَعَل) أيضاً. انظر في ذلك: اللغة العربية معناها ومبناها (ص١٤٤ - ١٤٥).

(٢) انظر: كشّاف اصطلاحات الفنون (٣/ ٤٣).

(٣) انظر: نفس المصدر (١/ ٢١) وما بعدها.

٢) طائفة من المباني Morphèmes تتمثل في الصيغ الصرفية، وفي اللواصق والزوائد والأدوات، فتدل هذه المباني على تلك المعاني، أحياناً بوجودها إيجاباً، وأحياناً بعدمها سلباً (وهو ما يسمى بـ Zeromorphèmes أو الدلالة العدمية).

٣) طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة أخرى من المقابلات أو القيم الخلافية بين المعنى والمعنى، وبين المبنى والمبنى، وذلك كالعلاقة الإيجابية بين (ضرْب) و(شهْم) من جهة تشابههما في الصيغة، وكالمقابلة التي تتمثل في القيم الخلافية بينهما من جهة المعنى، فالأول مصدر والثاني صفة مشبهة. وتفرق اللغة بمثل هذه المقابلات كاعتبار التجرد في مقابل الزيادة، والصيغة في مقابل الصيغة، والتكلم في مقابل الخطاب أو الغيبة، والاسمية في مقابل الفعلية... وغيرها، وهذه المقابلات هي عصب النظام الصرفي؛ فلا يُتصوَّر نظام بدونها⁽١⁾.

كما أن الصيغة الصرفية تُعَدُّ من بين العناصر - الصوتية والصرفية الكثيرة - التي تربط بين هذا النظام الصرفي والنظام النحوي العام للّغة العربية، حتى إننا لنجد القرائن اللفظية الدّالة على أبواب النحو المختلفة هي في جملتها عناصر تحليلية مُستخرَجة من الصوتيات والصرف، من ذلك مثلاً اشتراط صيغة صرفية ما لتكون مبنى لباب نحوي بعينه؛ فتكون بذلك قرينة لفظية على ذلك الباب، كاشتراط المصدر للمفعول المطلق والمفعول لأجله، وكالقول بالجمود للتمييز، ثم بالاشتقاق للحال والنعت الحقيقي، وكاطّراد صيغة المبني للمفعول في الإسناد إلى نائب الفاعل...، وهلم جرّاً⁽٢⁾. وكثيراً

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها (ص١٠).

(٢) نفس المرجع (ص٨٦).

ما تكون مثلُ هذه الشروط الصرفية فاصلاً مُهمّاً عند التباس بعض أبواب النحو أثناء الإعراب، ولذلك فإنّه ينبغي لمن يمارس التحليل النحوي إتقان ضوابط علم الصرف، والصور المختلفة من أحكام: المجرّد والمزيد، ومواضع زيادة الحروف ومقاصد تلك الزيادات، وأبنية الأسماء والأفعال...، وما تحتمله الصيغة الواحدة من الدلالات الصرفية عامةً، وفي سياقها التعبيري خاصةً، ووسائل التحديد للمراد الواقعي⁽¹⁾. ومن هذا المنطلق فلا بُدّ أن يكون أَمْنُ اللّبس بين المبنى والمبنى غايةً كبرى تحرص عليها اللغة في صياغتها للمباني الصرفية⁽²⁾.

وقد تفطن نحاة العربية منذ وقت مبكر لما للصيغة من أهمية في دراسة المفردات مبنىً ومعنى، ويظهر ذلك عند ابن جني مثلاً في تفريقه بين الدلالة اللفظية والصناعية (الصيغة) والمعنوية بقوله: «... ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه. وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبل أنها، وإن لم تكن لفظاً، فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها، ويستقر على المثال المعتزم بها؛ فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به؛ فدخلا بذلك من باب المعلوم بالمشاهدة»⁽³⁾. فالصيغة وإن كانت مجردة غير ظاهرة، فإنَّ اللفظ - بما اعتُمد فيه من ترتيب للحروف وبيان للحركات - يُظهر صورتها ويكشف عنها، ومن ثَم نستشفُّ معناها فيه، وهذا المعنى لا يقتصر على الزمن كما في مقولة ابن جني، بل يتعداه إلى معان كثيرة - كنا قد ذكرنا بعضها - كالحركة والاضطراب، والصيرورة والمطاوعة والطلب... إلخ، والدلالة على صفة الفاعل والمفعول...، وغيرها من معاني المشتقات.

---

(١) انظر: التحليل النحوي أصوله وأدلّته (ص٧٤).

(٢) المصدر السابق (ص١٤٦).

(٣) الخصائص (٣/ ٩٨).

غير أن هذه الدلالة لا تؤخذ من الصيغة وحدها، بل يجب أن تراعى معها حيثيات أخرى، لعل أهمها السياق Le Contexte وما يحويه من قرائن دالة على المعنى المراد من هذه الصيغة أو تلك، إذ لا يكفي في مثل قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] أن يقال إن الفعل (جاء) دلَّ على الزمن الماضي لأنه جاء على صيغة (فعَل)، وهذه الصيغة تدل على الماضي، بل يجب أن نراعي السياق الذي وردت فيه هذه الصيغة لنقف على دلالتها الزمنية بدقّة (وهو ما يسمى بالزمن النحوي، لا الزمن الصرفي)، وهو هنا سياق شرطي مُصدَّر بـ (إذا)، وهي لما يُستقبل من الزمان؛ مما يعني أن الفعل بعدها يكون دالاً على الزمن المستقبل، ومن ثم فإنّ الفعل (جاء) في الآية جاء على صيغة (فَعَل) التي تُنسَب إليها الدلالة على الزمن الماضي، ولكنه دال على الزمن المستقبل لمجيئه بعد (إذا) الشرطية. والشيء نفسه يقال عن الفعل المضارع الذي تدل صيغته (يَفْعَلُ) على الحال أو الاستقبال، ولكنها قد تدل على الزمن الماضي في سياق معيّن، كسياق النفي في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

هذا من جهة، وأما من جهة أخرى فإنّ في تعدد المعنى بالنسبة للمبنى الصرفي الواحد دليلاً قويّاً على جدوى مراعاة السياق، وما يحمله من قرائن لفظية أو معنوية أو حالية للوقوف على الدلالة الدقيقة، فإذا كان الفعل (تسمعُ) عند إطلاقه يحتمل أن يكون للمخاطب المذكر (أنتَ) وللغائب المؤنث (هي)، فإنه يتحدد ويختص بأحدهما في السياق، ويذكر الدكتور تمّام حسّان في هذا الصدد أنّه قد يحدث أن تتشابه صيغتان في النظام مع اختلاف معناهما، فحين لا نجد اختلافاً بينهما نلجأ إلى القرائن نستبين بها معنى كلٍّ منهما، وأعطى مثالاً على ذلك صيغة (فاعِلْ) عند النظر إليها باعتبارها مبنىً غيرَ منطوق وغير موضوع في سياق متَّصل، إذ نجدها صالحة للدلالة على معنيين: أحدهما اسم الفاعل من (فَعَل)، والآخر الأمر من (فاعَلَ). وكمثال دقيق لتوضيح

ذلك أخذ الكلمة (قاتِلْ) ساكنة الآخر بالوقف، وأشار إلى أنّنا نجدها لا تزال - وهي كلمة لا صيغة فحسب - صالحة للمعنيين معاً(١).

وهكذا نُخَرِّج عمل سيبويه حينما تحدّث في كتابه عن بعض قضايا الدلالة المرتبطة بالجانب الصرفي وتعلُّقه بالتحليل النحوي، وإشارته إلى ظاهرة المشترك اللفظي في قوله: «اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين...، واتّفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدتُ عليه، من المَوجِدة، ووجدت، إذا أردت وجدان الضّالّة. وأشباه هذا كثير»(٢). وذلك لأنّك إذا ربطتَ هذه اللفظة بمصادرها أدّى ذلك إلى اختلاف المعاني عليها، وكذا علاقاتها النحوية، فإذا ربطتها بمضمون مصدرها (الوُجد) كانت بمعنى: استغنى، واكتفت بالفاعل وحده، وإذا جعلتَ فيها مرادَ (الوجود) صارت بمعنى: أدرك، واحتاجت إلى مفعول به أيضاً، وإن زعمتَ فيها الدلالة على (الموجدة) أصبحت بمعنى: غضب، واقتضت جارّا ومجروراً (عليك) مثلاً، وإذا حمّلتها مقصد (الوَجْد) عادت بمعنى: هامَ، وتطلّبت مثل قولك: بها، ثمّ حين تريد بها حدوث العِلم تلقاها في حاجة إلى مفعولين(٣).

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى تعدد معاني الصيغ في العربية كما يذكرها النحاة، إذ تدل صيغة (فعَّل) على: التكثير، والتعدية، والسلب، واختصار الحكاية... إلخ، وتدل (أفعَلَ) على: التعدية، والسلب، والصيرورة، والدخول في الشيء زماناً ومكاناً...، وهكذا مع أغلب الصيغ في العربية(٤)، وكل مبنى من هذه المباني المتعددة الكثيرة يتعدد

---

(١) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها (ص١٤٧).

(٢) الكتاب (١/ ٢٤).

(٣) التحليل النحوي أصوله وأدلّته (ص١١٢).

(٤) انظر: شذا العرف في فن الصرف (ص٤٥) وما بعدها.

معناه الوظيفي ويظل احتمالياً ما دام المبنى مفرداً(١)، أي مطلقاً دون ضابطٍ من السياق. ويتحدد المعنى هنا أيضاً من خلال السياق بما يحمله من قرائن، غير أن السياق في بعض الأحيان قد يسمح باحتمالية تعدّد المعاني في الصيغة الواحدة، وقد لا يكون فيصلاً في بيان المعنى المراد بدقّة؛ مما يفتح أبواب الخلاف بين النحاة واللغويين في دلالات بعض الألفاظ وما تفيده أبنيتها من المعاني المختلفة، بل وبين مفسري القرآن الكريم كما سنتبيّنه هنا بإذن الله.

تلك كانت بعض القضايا الهامة التي أردت أن يطلع عليها القارئ الكريم قبل أن نخوض معه غمار البحث في بعض الترجمات الفرنسية والإنجليزية لمعاني القرآن الكريم، على أن تكون هناك بين الحين والآخر إشارات إلى غير ما سبق من دلالات الصيغ والأبنية ومقابلاتها في اللغة الهدف.

دلالة الصيغة الصرفية الواحدة على أكثر من معنى، وأثر ذلك في التفسير والترجمة:

قد تختلف المعاني في العربية على الصيغة الواحدة كما رأينا؛ فيكون ذلك مدعاة لاختلاف المفسرين من هذه الجهة، ومن أمثلة ذلك اختلافهم في دلالة لفظ ﴿أَحۡصَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ [الكهف: ١٢]، على اعتباره فعلاً ماضياً أو (أفعل) تفضيل، ومن ثم اختلفوا أيضاً في كون ﴿أَمَدٗا﴾ تمييزاً أو مفعولاً به أو ظرفاً(٢) لـ ﴿أَحۡصَىٰ﴾، ومنهم من قال هو منصوب بـ ﴿لَبِثُوٓاْ﴾(٣). ودقّق ابن هشام في ذلك ففرّق بين المعنيين اللذين تحتملهما صيغة هذه اللفظة قائلاً: «... نحو: زيد أحصى

---

(١) أقسام الكلام العربي بين الشكل والوظيفة (ص١٧).

(٢) ويكون التقدير - في الظرف -: أي الحزبين أحصى للبثهم في الأمد، والأمد: الغاية.

(٣) انظر تفصيل ذلك في: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٦٤)، وفتح القدير (٣/ ٢٧٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٤١).

ذهناً، وعمرو أحصى مالاً، فإن الأول على أن «أحصى» اسم تفضيل، والمنصوب تمييز، مثل أحسن وجهاً، والثاني على أن أحصى فعل ماض، والمنصوب مفعول، مثل ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]. ومن الوهم قول بعضهم في: ﴿أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا﴾ إنه من الأول، فإن الأمد ليس مُحصِياً بل مُحصًى، وشرط التمييز المنصوب بعد (أفعل) كونه فاعلاً في المعنى كـ: زيد أكثر مالاً، بخلاف: مال زيد أكثر مال»⁽¹⁾، وهذا يعني أن ﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعل ماض مضارعه (يحصي)، و﴿أَمَدٗا﴾ منصوب على المفعولية لا على التمييز.

وقد تُرجم معنى هذه الآية عند الأستاذ مازيغ بـ:

...pour voir deux parties opposés disputer de la durée de leur séjour, et savoir lequel l'évaluerait le mieux(2).

وعند الشيخ حمزة بـ:

pour savoir lequel des deux parties évaluerait le mieux la durée de leur séjour(3).

كما ترجمه جاك بيرك بـ:

puis les ranimâmes pour savoir lequel des deux parties serait le plus apte à compter le temps de leur séjour(4).

وجاء في ترجمة محمّد حميد الله ما نصّه:

afin de savoir lequel des deux groupes saurait le mieux calculer la durée exacte de leur séjour(5).

ونلاحظ اتّفاق هذه الترجمات في نقل معنى ﴿أَحۡصَىٰ﴾ باعتباره (أفعل) تفضيل، لا فعلاً ماضياً، بدلالة le mieux أي: أفضل أو أحسن إحصاءً، عند كلٍّ من الأستاذ مازيغ والشيخ حمزة ومحمّد حميد الله، وle plus أي: أكثر إحصاءً، عند جاك بيرك. ولو افترضنا أنّ هؤلاء المترجمين قد عادوا جميعاً إلى التفاسير

---

(١) مغني اللبيب (١/ ٧٨١).

(2) Le Coran, Sadok Mazigh, Maison Tunisie de l'edition, p 549.

(3) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, ENAG/Edition, Alger, Algerie, 1989, 1/424.

(4) Le Coran, Jacques Berque. Sindbad. Paris,1990, p 307.

(5) Le Saint Coran, Mouhammad Hamidallah. Amana Corporation, France,1989, p294.

ووقفوا على ذلك الخلاف الذي أشرنا إليه، وهو من نتائج اللّبس في المبنى، فعلى أيّ شيء اعتمدوا في ترجمة هذا اللفظ بمعنى التفضيل فقط!؟ على الرغم من نص بعض النحاة - كما رأينا عند ابن هشام - على عدم صحّته، وصحة جعل ﴿أَحۡصَىٰ﴾ فعلاً ماضياً.

وما قيل عن الترجمات الفرنسية يقال عن الترجمتين الإنجليزيتين، إذ جاء في ترجمة الهلالي وخان ما نصّه:

Then We raised them up (from their sleep), that We might test which of the two parties was best at calculating the time period that they had tarried(1).

وترجمها بيكثال بـ:

…that We might know which of the two parties would best calculate the time that they had tarried(2).

ويظهر معنى المفاضلة بين الفريقين عند المترجمَيْن في:

1. which of the two parties was best at calculating
2. which of the two parties would best calculate.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً اختلاف المفسرين في لفظة ﴿أَعۡمَىٰ﴾ الثانية من قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وسبب اختلافهم هو مجيء ﴿أَعۡمَىٰ﴾ على صيغة (أفعل)؛ فتحتمل بذلك أن تكون صفةً، وأن تكون للتفضيل. وعلى هذين المعنيين اللذين تحتملها هذه الصيغة دارت أقوال المفسرين، وقد ربطوا بين معنى العمى المراد وبين دلالة هذه الصيغة، فمن ذهب منهم إلى أن العمى المقصود هو عمى البصر - بعد إجماعهم على أن معنى ﴿أَعۡمَىٰ﴾ الأولى عمى القلب(٣) - رأى أن ﴿أَعۡمَىٰ﴾ مجرّدُ صفة كسابقتها في الآية ﴿وَمَن كَانَ

---

(1) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur'ān, Muhammad Muhsin Khàn, and Muhammad Taqi-ud-din Al-Hilāli. Maktaba Dar-us-Salam, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, 1994, p 447.

(2) The Glorious Qur'ân, Marmaduke Pickthall. Bi-lingual Edition,1996, p 710.

(٣) جاء في فتح القدير (٣/ ٢٤٦): «قال النيسابوري: لا خلاف أن المراد بهذا العمى عمى القلب».

﴿فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ﴾؛ لأن (أفعل) لا تصاغ من هذا الفعل، وإنما يقال: أشد عمى. أمّا من جعل العمى عمى البصيرة فقد حمل ﴿أَعۡمَىٰ﴾ على التفضيل، مستدلاًّ بعطف ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ عليها. كما ربطوا هذين المعنيين بطريقة الأداء؛ فمن رأى الرأي الأول أمال، ومن رأى الثاني فتح. وقد لخّص لنا الطبري كل ذلك – مرجّحاً الرأي الثاني – بقوله: «وأما قوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ فإن عامّة قراء الكوفيين أمالت أيضاً قوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾، وأما بعض قراء البصرة فإنه فتحه، وتأوّله بمعنى: فهو في الآخرة أشد عمى. واستشهد لصحة قراءته بقوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾. وهذه القراءة هي أوْلى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك، وإنما كره من كره قراءته كذلك ظنّاً منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذي لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت؛ فيكون أحدهما أَزْيَد عمًى من الآخر إلا بإدخال (أشد) أو (أبين) فليس الأمر في ذلك كذلك. وإنما قلنا ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت فإنما عني به عمى قلوب الكفار عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسُن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل: ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾، قال: أعمى عن حجته في الآخرة»⁽١⁾.

وقد فسَّر ابن عطية علاقة طريقة الأداء والقراءة بالمعنى المقصود من العمى بقوله: «وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم ﴿أَعۡمَىٰ﴾ في الموضعين بغير إمالة، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بخلاف عنه في الموضعين بإمالة، وقرأ أبو عمرو بإمالة الأول وفتح الثاني، وتأوله بمعنى: أشد عمى، ولذلك لم يُمله، قال أبو علي: لأن الإمالة إنما تحسن في الأواخر، و﴿أَعۡمَىٰ﴾ ليس كذلك؛ لأن تقديره:

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٢٩). وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٩٨ – ٢٩٩).

أعمى من كذا، فليس يتم إلا في قولنا من كذا، فهو إذاً ليس بآخر، ويقوي هذا التأويل قوله عطفاً عليه: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، فإنما عطف ﴿وَأَضَلُّ﴾ الذي هو (أفعل من كذا) على ما هو شبيه به...، وقول سيبويه رحمه الله: «لا يقال أعمى من كذا، كما يقال ما أبداه»، إنما هو في عمى العين الذي لا تفاضل فيه، وأما في عمى القلب فيقال ذلك لأنه يقع فيه التفاضل»(١). والحاصل أنّ إدخال الإمالة في الأولى دالٌّ دلالةً لفظيّة على أنه ليس المراد (أفعل) التفضيل، وتركها في الثانية يدل على أن المراد منها (أفعل) التفضيل(٢).

واستدل من قال إن عمى الآخرة عمى بصر - لا عمى بصيرة - وأنه لا تفضيل فيه بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧](٣). وعلة عدم حَمْلِهِ على التفضيل أنه مما ليس لصاحبه فيه فعل يقِلّ أو يكثر، فيكون (أفعل) دليلاً على قلّة الشيء وكثرته، فأنت لا تقول لأعميين - في عمى البصر دائماً -: هذا أعمى من هذا، ولا لميِّتَيْن: هذا أموت من هذا. ومن أراد عمى القلب جاز له أن يقول على التفضيل: فلان أعمى من فلان(٤).

وقد أجمعت الترجمات الفرنسية على نقل المعنى باعتبار الصفة لا التفضيل، فجاءت على النحو التالي:

- الشيخ أبو بكر حمزة:

Quiconque aura été aveugle ici - bas le sera également dans l'au - delà et il sera plus égaré [encore] par rapport à la bonne route(5).

---

(١) المحرر الوجيز (٣/ ٤٧٤).

(٢) التفسير الكبير (٢١/ ١٦).

(٣) انظر: البحر المحيط (٦/ ٦٣)، وفتح القدير (٣/ ٢٤٦)، والتفسير الكبير (٢١/ ١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٢٧ - ١٢٨).

(5) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/405.

- الصادق مازيغ:

Pour celui qui aura été aveugle en ce monde, il le sera de méme dans l'autre, il y retrouvera encore moins sa voie(1).

- جاك بيرك:

qui aura été aveugle ici-bas, celui-là le sera aussi dans la vie dernière, et plus gravement encore égaré du chemin...(2).

- محمد حميد الله:

Et quiconque est aveugle ici-bas, alor il sera aveugle dans l'au-delà, et en chemin plus égaré(3).

أي أن الإنسان الذي يكون في هذه الدنيا أعمى، سيكون كذلك بهذه الصفة في الآخرة، إذا أردنا أن نعيد ترجمة كلامهم بصفة عامة.

- الهلالي وخان، وهما الوحيدان اللذان أشارا بين قوسين إلى أن المراد بالعمى الأول عمى البصيرة (عدم النظر في آيات الله..)، ولكنّهما لم يصرفا العمى الثاني إلى معنى المبالغة، وقد جاءت ترجمتهما على النحو التالي:

And whoever is blind in this world (i.e does not see Allah's Signs and believes not in Him), will be blind in the Hereafter, and more astray from the path(4).

وقد أخذا بمعنى المبالغة في ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ على الرغم من أنّه معطوف - كما رأينا سابقاً - على ﴿أَعۡمَىٰ﴾، فكان بإمكانهما أن يترجما الآية بـ:

will be more blind in the Hereafter, and more astray from the path.

لأنَّ السياق لا يمنع من ذلك.

- بيكثال:

Whoso is blind here will be blind in the hereafter…(5).

وهو أيضاً لم يعتمد معنى المبالغة والتفضيل.

---

(1) Le Coran, Sadok Mazigh, p 541.
(2) Le Coran, Jacques Berque, p 302.
(3) Le Saint Coran, Muhammad Hamidullah, p 289.
(4) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur'ān, p 439.
(5) The Glorious Qur'ân, p 289.

وقد ظهر لي وأنا أتدبر هذه الآية ما يؤكّد ضرورة صرف هذه الصيغة إلى معنى المبالغة، وذلك حينما نربطها بسياقها الذي وردت فيه، وهو سياق الآخرة التي يحشر الله الكافر فيها أعمى بصراً وبصيرة، بعد أن كان في الدنيا أعمى بصيرة لا بصراً؛ فيكون عمى الآخرة أشدَّ وأعظمَ على الكافر من عَمَى الدنيا، ودليل ذلك ما جاء على لسان الكافر في الآخرة من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٥، ١٢٦].

ومن الأمثلة التي تمس بعض الصيغ في العربيّة واحتمالها عدة معان في سياق بعينه ما نجده من احتمال كلمة (مختار) و(معتاد) لأن تكون كل منهما صيغة فاعل أو مفعول، فأنت تقول: اخترت الثوب فهو مختار، وأنا مختار له، (أي: اختار فهو مختار، واختير فهو مختار أيضاً)، وتقول: اعتدت أن أفعل هذا الأمر فهو معتاد، وأنا معتاد على فعله⁽¹⁾. ومثله في ذلك كلمة (المُحتَلّ) التي قد تعني الذي احتل غيرَه (صفة فاعل)، أو الذي احتلّه غيرُه (صفة مفعول)، ولا يتّضح المراد إلا بسياق هذه الكلمة، كأنْ تقول: إنّ المحتلَّ لا يهدأ له بال حتّى يقضي على المقاومة، أو إنّ المحتلَّ لا يهدأ له بال حتّى يطرد المستعمِر من بلاده. وقد تأتي الكلمة على صيغة معينة، ويكون معناها على معنى صيغة أخرى، ومن ذلك صيغة (فاعل) الدالة على معنى المفعول أو النسب⁽²⁾ كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، أي مرْضيَّة، أو ذات رضى. وقد ربط الفراء خروجها وصيغة (مفعول) إلى غير معناها المتعارف بمعرض المدح أو الذم، وذلك

---

(١) انظر: الخصائص (١/ ٣٤٦)، و(٢/ ١٠٣).

(٢) يقول الرضي: «قالوا: وقد جاء فاعِل بمعنى مفعول نحو: ماء دافق، أي مدفوق، وعيشة راضية، أي مَرْضية، والأَوْلى أن يكونا على النسب كنابل وناشب، إذ لا يلزم أن يكون فاعل الذي بمعنى النسب مما لا فعل له كنابل، بل يجوز أيضاً كونه مما جاء منه الفعل، فيشترك النسب واسم الفاعل في اللفظ». شرح كافية ابن الحاجب (٢/ ١٩٩).

حين يقول: «وقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ فيها الرضاء، والعرب تقول: هذا ليل نائم، وسرّ كاتم، وماء دافق، فيجعلونه فاعلاً، وهو مفعول في الأصل، وذلك أنهم يريدون وجه المدح والذم، فيقولون ذلك لا على بناء الفعل، ولو كان فعلاً مصرّحاً لم يُقَل ذلك فيه؛ لأنه لا يجوز أن تقول للضارب: مضروب، ولا للمضروب: ضارب، لأنه لا مدح فيه ولا ذم»(١). وما دمنا قد ذكرنا هذه الآية كمثال على تعدد احتمال الصيغة لعدة معان مختلفة، فلننظر بأي معنى تمت ترجمتها.

جاء في ترجمة الشيخ أبو بكر:

il mènera une vie satisfaisante...(2)

مما يدل على ترجمته لها سياقياً – بمعنى مرضية (للمفعول لأن صفة الفاعل الفرنسية Satisfaite) – لا صيغياً واحتمالها أن تكون ذات رضا.

وكذلك فعل مازيغ، إذ ترجمها بـ:

d'un séjour agréable...(3)

بمعنى رغدة أو ممتعة (الإقامة أو المقام) وجعلها محمد حميد الله الحياة الرغدة بترجمتها إلى:

dans une vie agréable...(4)

وترجمها جاك بيرك على معنى المصدرية بـ:

et il aura existence de contentement(5)

أي سينال وجود الرضا، أو السعادة.

أمّا الترجمتان الإنجليزيتان فقد اختلفتا في ترجمة معنى كلمة (راضية)، إذ ترجمها الهلالي وخان بـ:

So he shall be in a life, well - pleasing(6)

أي سيكون في حياة جدّ مرضية، وترجمها بيكثال بـ:

Then he will be in blissful state(7)

أي سيكون في حالة سعيدة، أو في منتهى السعادة.

---

(١) الفراء، معاني القرآن. ت: محمد علي النجار، وأحمد يوسف نجاتي. دون ط. دار السرور (٣/ ١٨٢).

(2) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 2/539.

(3) Le Coran, Sadok Mazigh, p 1087.

(4) Le Saint Coran, Muhammad Hamidullah, p 567.

(5) Le Coran, Jacques Berque, p 632.

(6) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur’ān, p 895.

(7) The Glorious Qur'ân, p 567.

والشيء نفسه قيل عن ﴿مَأۡتِيّٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: ٦١]، إذ رأى بعض النحاة أن الصيغة للمفعول، ولكن المعنى للفاعل، أي: آتيا(١)، وقد ردّ الرضي ذلك بقوله: «والأوْلى أنه من أتيت الأمر، أي فعلته، فالمعنى: إنه كان وعده مفعولاً، كما في الآية الأخرى»(٢)، يعني بذلك قوله تعالى: ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا﴾ [المزّمل: ١٨]، أو غيرها من الآيات التي جاءت لنفس المعنى. والصيغة بذلك – عنده – جاءت على معناها، وهو معنى المفعول، لا معنى الفاعل. غير أن الفراء صحّح المذهبين – وهذا دليل على ثراء الدلالة الصرفية في العربية – فرأى أن كلَّ ما أتاك فأنت تأتيه؛ لأنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليّ خمسون سنة، وكل ذلك صواب(٣)، وهذا الرأي دقيق جداً، وبه تم تخريج عدة ألفاظ من الأضداد، ولاسيما المعاني المتضادة التي تجمعها صيغة واحدة، كالصريخ، الذي جاء على صيغة (فعيل) الدالة على صفة الفاعل أو المفعول، وتُطلق على المنجِد والمستنجِد، وذلك أن كلّاً منهما يصرخ، وكالصَّريم الذي يطلق على الليل والنهار؛ لأن كلا منهما ينصرم عن الآخر(٤).

وبهذا المعنى فإن ترجمة هذه الصيغة بالمعنيين صحيحة، ولكن المترجمين لم يتعرضوا لهذا المعنى ولم يشيروا إليه؛ لأنهم اختاروا صيغة من التعبير لا تتوافق والدلالة الدقيقة للآية، إذ ترجمها الشيخ أبو بكر بـ:

...sa promesse se réalisera(5)

أي أن وعده سيتحقّق، وترجمها الأستاذ مازيغ بـ:

...la promesse du Miséricordieux sera tenue(6)

---

(١) ويصدق هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

(٢) شرح الكافية (٢/ ١٩٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٠).

(٤) انظر: الأضداد (ص٤٣) وما بعدها، و(٤٧) وما بعدها.

(5) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/457.

(6) Le Coran, Sadok Mazigh, p 579.

أي: إنّ الله سيَفِي بوعده، وأين هذا من معنى الآية وإيحاءاتها بالدلالات المختلفة التي تُراعى فيها اختلافات الجهة وربط دلالة الصيغة بها!؟ لأننا حين نصرف معنى الصيغة إلى الفاعلية ننظر إلى مجيء الوعد (أو الموعود)، وحينما نصرفها إلى المفعولية ننظر إلى مجيء البَشر إليه، وكلاهما حاصل كما ذكرنا عن الفراء سابقاً؛ وذلك لمرونة اللغة العربيّة واتّساع آفاق الدلالة فيها. ولعلّ ترجمة محمد حميد الله - بعد أن عدّلها بعض العلماء في طبعة مجمع الملك فهد - هي الأقرب لاعتمادها على معنى الفعل (أتى) دون (تحقّق) أو (ثبت)، وإن جاء الوعد فيها آتياً لا مأتيّاً، فقد ترجم معنى الآية بـ:

Car Sa promesse arrivera sans nul doute(1)

بينما نجد جاك بيرك يترجم المعنى إلى أنّ وعده ممنوحٌ أو معطًى قطعاً، إذ جاء في ترجمته ما نصه: que c'était assurément promesse accordée(2)

كما أثبتت بعض الترجمات الإنجليزية معنى إتيان الوعد أيضاً، فقد جاء في ترجمة الهلالي وخان ما نصّه: Verily! His promise must come to pass(3)

بينما جاءت ترجمة بيكثال على معنى أن وعده دائماً محقق التنفيذ، أو أن الله يفي دائماً بوعده، وهذا نص ترجمته: Lo! His promise is ever sure of fulfilment(4)

وقد تحتمل الصيغة - وهي مفردة - عدة معان، ولكنها في السياق لا تحتمل إلا معنى واحداً، والذي لا يقف على سياق الآية بدقة قد يصرف معنى الصيغة إلى غير المراد، ومثال ذلك أن صيغة (فعّال) توحي بادئ الرأي بدلالتها على المبالغة والتكثير، لأنها كثيراً ما تؤدي هذا المعنى، وعليه استشكل بعضهم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] لأن نفي (ظلّام) لا يلزم منه نفي أصل الظلم عن الله تعالى، بل يلزم منه نفي مبالغته في الظلم، وهذا مناف لقوله تعالى:

---

(1) Le Noble Quran. p 309.
(2) Le Coran, Jacques Berque. p 325.
(3) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur'ān, p 473.
(4) The Glorious Qur'ân. p 309.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، وقد أجيب عن ذلك باثني عشر جواباً كما يذكر الزركشي، ليس هنا موضع ذكرها جميعاً أو تفصيلها، بل سنكتفي بإيراد ما شاع بين المفسرين في هذا الشأن.

ذكر البيضاوي أن التكثير جاء لأجل العبيد(١)، ومعنى ذلك أن صيغة المبالغة جاءت لكثرة العبيد لا لكثرة الظلم، كقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]، مع قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩](٢).

وذكر القرطبي أن ذلك لنفي الظلم عن الله عز وجل قليله وكثيره، وأنه إذا انتفت المبالغة انتفى غيرها(٣)؛ لأن من يظلم يظلم للانتفاع بالظلم فإذا ترك كثيره - مع زيادته نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضر - كان لقليله - مع قلة نفعه - أكثر تركاً(٤).

وذهب الرازي والشوكاني إلى كون المتوعَّد به بأن يفعله بهم لو كان ظلماً لكان عظيماً، فنفاه على حدّ عظمه لو كان ثابتاً(٥).

وذهب عددٌ من المفسرين إلى أن ذلك جاء على النسب، أي أن الله لا يُنسب إلى الظلم، ولو كان مثقال ذرة، ودلالة صيغة (فعَّال) على معنى النسب مشهورة عند علماء العربية قديماً وحديثاً، يقول ابن عقيل مثلاً في شرحه لقول ابن مالك:

ومع فاعل وفَعَّال فَعِلْ في نَسَب أغنى عن اليَا فقُبِلْ

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٣/ ١١٥).

(٢) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل (ص٧١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٧٠).

(٤) انظر: روح المعاني (٤/ ١٤٤).

(٥) التفسير الكبير (٩/ ١٠٣)، وفتح القدير (١/ ٤٠٦).

«يُستغنى غالباً في النسب عن يائه ببناء الاسم على (فاعل)، بمعنى صاحب كذا، نحو: تامر، ولابن، أي صاحبِ تَمْرٍ وصاحبِ لبن، وببنائه على فَعَّال في الحرف غالباً، كبقَّال وبزَّار، وقد يكون (فعَّال) بمعنى صاحب كذا، وجُعل منه قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصّلت: ٤٦] أي: بذي ظلم»⁽¹⁾. وهذا ما رواه سيبويه عن الخليل في (باب من الإضافة تحذف فيه ياء الإضافة)، فقال: «وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله أو ذا شيء. أمّا ما يكون صاحب شيء يعالجه فإنه مما يكون (فعَّالاً) وذلك قولك لصاحب الثياب: ثوَّاب، ولصاحب العاج: عَوَّاج، ولصاحب الجمال التي ينقل عليها: جَمَّال، ولصاحب الحمُر التي يعمل عليها: حَمَّار، وللّذي يعالج الصرف: صَرَّاف، وذا أكثر من أن يحصى»⁽²⁾.

وقال عباس حسن - من المحدَثين - عن كثرة مجيء (فَعَّال) دالة على النسب في فصيح الكلام: «كثُر في الأساليب الفصيحة المسموعة استعمال صيغة (فعّال) للدلالة على النسب - بدلاً من يائه - وكثر هذا في الحِرَف؛ فقالوا: حدَّاد لمن حرفته الحدادة، ونَجَّار لمن حرفته النِّجارة... ونحوها من كل منسوب إلى صناعة معيّنة»⁽³⁾.

ولمَّا كانت اللغة العربية تسمح بصرف صيغة (فعّال) إلى غير المبالغة والتكثير، كالنسب هنا، فلسنا بحاجة إلى كل تلك التأويلات؛ التي كان منطلقها أن (فَعَّال) يجب أن تدل على المبالغة والتكثير، وبهذا المعنى التمس لها المفسرون كل تلك التخريجات التي نحن في غنى عنها إذا أرجعنا دلالة الصيغة (فعّال) إلى النسب، فيكون المعنى - بكل سهولة ويسر -: نفي نسبة الله إلى الظلم مطلقاً، أي أنه ليس بذي ظلم.

---

(1) شرح ابن عقيل (٢/ ٤٨٠).

(2) الكتاب (٣/ ٣٨١).

(3) النحو الوافي (٤/ ٧٤٣ - ٧٤٤).

هذا، وفي أقوال بعض علماء اللغة الذين ذكرناهم، ما يدل على أنهم لم يصرفوا – دائماً – (فَعَّال) إلى معنى المبالغة والتكثير، وهو ما يردُّ على قول أحد مترجمي معاني القرآن – وهو محمد حميد الله – الذي تساءل إن كان نُحاتنا قد فكروا في توظيف غريب لصيغة المبالغة (فَعَّال)، فكلمة (ظَلَّام) التي تعني الكثير الظلم، لا يمكن حملها على هذا المعنى في سياق الآية: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ومن ثم لا يمكن ترجمتها بـ: ليس الله بكثير الظلم، ولكن نترجمها بـ: ليس ظالماً على الإطلاق. إنه السياق – كما يضيف حميد الله – الذي يجعلنا نختار بين المعنيين الممكنين، ونكون مجبرين أمام وضع الألفاظ التي بهذه الصيغة، أو على الأقل هذه الكلمة، ضمن الاشتراك اللفظي الكثير في اللغة العربية(١).

وقد صرف جميع المترجمين دلالة هذه الصيغة عن معنى المبالغة والتكثير، وترجموا الآية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢] مثلاً بعدم ظلم الله سبحانه لأحد من عباده مطلقاً، فقد ترجمها الشيخ أبو بكر بـ:

...Dieu n’est nullement injuste envers [ses] serviteurs(2).

أي: إنّ الله ليس إطلاقاً غير عادل تجاه عباده (أو خدمه)!. وترجمها الصادق مازيغ بـ:

Dieu ne traite pas injustement Ses créatures(3).

أي: إنّ الله لا يعامِل بالظلم مخلوقاته. وترجمها حميد الله بـ:

...Dieu ne manque point à Ses esclaves(4).

أي: إنّ الله ليس بظالم (أو مقصّر) أبداً لعبيده. وترجمها جاك بيرك بـ:

Dieu n’est pas enclin à l’iniquité envers Ses serviteurs(5).

أي: إنّ الله ليس مطبوعاً (أو مجبولاً) على الظلم نحو عباده. وهو كلام غريب نوعاً ما في حقّ الله تعالى.

---

(1) Le Saint Coran, Muhammad Hamidullah, p 26 - 27.
(2) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/87.
(3) Le Coran, Sadok Mazigh, p 143.
(4) Le Saint Coran, Muhammad Hamidullah, p 74.
(5) Le Coran, Jacques Berque, p 91.

كما ترجمها الدكتوران خان والهلالي بـ:

Allah is never unjust to (His) slaves(1).

أي: إنّ الله ليس ظالماً (أو غير عادل) أبداً لعبيده. وترجمها بيكثال بـ:

Allah is no oppressor of (His) bondmen(2).

أي: إنّ الله ليس ظالماً لعباده.

الترجمة والمعادل الصرفي:

قد لا نجد في اللغة الهدف مقابلاً صرفيّاً لمعنى الصيغة العربية المراد ترجمته، فنحن في العربيّة نعبّر في غالب الأحيان بكلمة واحدة تحمل المعنى العام للجذر اللغوي ومعنى الصيغة معه، فمثلاً عندما نقول (جالس)، فإنّنا نلمس فيه معنى الجلوس الذي يفيده الجذر اللغوي (ج ل س)، ومعنى الصيغة (فاعل) أي صفة الفاعل، أو بمعنى آخر الفعل والمتصف بهذا الفعل، وهو ما قد يكون غائباً تماماً - كما سبق أن ذكرنا - في اللغة الهدف، إذ لا بدَّ - في كثير من الأحيان - من إضافة كلمة أخرى تؤدّي معنى الصيغة الصرفية إلى كلمةٍ تؤدّي معنى الحدث أو الفعل.

إنّنا في العربيّة إذا أردنا أن نعبّر عن معنى التفضيل والمبالغة صُغنا الكلمة على صيغة (أفعل)، فنقول في تفضيل الحسن: أحسن، والكبَر: أكبر، والغنى: أغنى...، وهكذا، بينما لو بحثنا عن معادل صرفي لهذه الصيغة في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية لما وجدناه؛ لأنّ اللغتين السابقتين - بكلِّ بساطة - ليستا من اللغات الاشتقاقية كاللغة العربيّة، فهم إذا أرادوا أن يعبِّروا عن المعنى الصرفي السابق، وهو التفضيل والمبالغة، استدعوا كلمة أخرى إضافةً إلى الكلمة الدّالّة على الشيء المراد التفضيل والمبالغة فيه، فيقولون فيما سبق في الفرنسيّة: plus beau, plus grand, plus riche

---

(1) The Noble Qur’an, p 119.

(2) The Glorious Qur'ân, p 74.

ولذلك نجد ترجمة اسم سورة (الأعلى) قد جاءت في جميع الترجمات الفرنسية تقريباً بـ Le Plus - Haut، وجاءت في ترجمة كلٍّ من الهلالي وخان وبيكثال بـ The Most High. ومثال هذا النوع أيضاً ما جاء في ترجمة ﴿كِذَّابًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾ [النبأ: ٢٨]، هذه الكلمة التي جاءت بكسر الكاف وتشديد الذال؛ لتدل على معنى: تكذيبا كبيراً أو مفرطاً(١). فقد تُرجم هذا المعنى الصرفي عند الأستاذ مازيغ بـ: Ils traitaient effrontément Nos signes de mensongers(2)

وعند الشيخ حمزة بـ: et auront renié effrontément Nos versets(3)

فالمترجمان قد فهما من ﴿كِذَّابًا﴾ معنى الوقاحة أو السفاهة في التكذيب والإنكار؛ مما يجعل تكذيبهم مبالغاً فيه. ووضع جاك بيرك كلمة (شديد) صفة للتكذيب للدلالة على المبالغة، إذ جاء في ترجمته ما نصه:

ils ont démenti Nos signes d'un (violent) démenti(4)

أي كذبوا آياتنا تكذيباً شديداً.

بينما وضع الهلالي وخان في ترجمتهما الإنجليزية كلمة (تماماً أو مطلقاً)؛ للدلالة على معنى المبالغة، إذ ترجما معنى الآية بـ:

But they belied Our Ayàt (proofs, evidences, verses, lessons, signs, revelations, and that wich Our prophet brought) completely(5).

كما وضع بيكثال كلمة strong للدلالة على قوة التكذيب، أو قوة الرفض والإنكار وشدّتهما، فقد ترجم معنى الآية بـ:

they called our revelation false with strong denial(6).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٨١ – ١٨٢).

(2) Le Coran, Sadok Mazigh, p 1119.

(3) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 2/597.

(4) Le Coran, Jacques Berque, p 657.

(5) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur'ān, p 926.

(6) The Glorious Qur'ân, p 582.

وهذا يعني أنّه لا مقابل - صيغياً - لمعنى التكثير أو الإفراط الذي دلت عليه الصيغة العربية (فِعَّالاً)، ولا لمعنى المبالغة والتفضيل الذي دلّت عليه الصيغة (أَفْعَل)، فاضطر المترجمون إلى المجيء بكلمة تفيد المعنى الذي أفادته الصيغة في كلتا الحالتين، وهذا يؤكّد مدى الاختلاف بين اللغة العربية من جهة واللغتين الفرنسية والإنجليزية من جهة أخرى، في كون الأولى لغةً اشتقاقية، كما أشرنا آنفاً، أي: إنّها تعتمد الاشتقاقَ مبدأً من مبادئ أداء المعاني النحوية أو الصرفية[1]، بخلاف بعض اللغات الأخرى كالفرنسية أو الإنجليزية هنا، وهما لغتان إلصاقيتان، أي تعتمدان في أداء كثير من تلك المعاني على إلصاق بعض الوَحْدات ببعض، كإلصاق الفرنسية "eur" للدلالة على صفة الفاعل في مثل: "Travailleur, Mangeur"... إلخ.

من معاني (ال):

تُعَدُّ (ال) من المباني "Morphèmes" التي تدلُّ في اللغة العربيّة على معان صرفيّة غايةً في الدقّة، إذ لا يكتفى فيها بالقول إنّها للتعريف فحسب، بل هي تدل مع التعريف على معان أخرى لا بدّ للمترجِم من اللسان العربي أن يكون على علم بها حتّى لا يكتفي في كلِّ سياق بنقل معنى التعريف الذي يتبادر إلى الأذهان من أوّل الرأي، فينقلها إلى اللغة الفرنسية دائماً بلفظ: le أو la، وإلى الإنجليزية بلفظ: the، دونما مراعاة للمعنى السياقي الذي دلّت عليه.

ومما لم تُراعَ ترجمته في هذا الصدد بدقة، بحسب المعنى الصرفي أو معنى الصيغة، ما ورد في القرآن الكريم بصيغة الصفة (صفة الفاعل أو غيرها من الصفات)، وتُرجم بصيغة أخرى كالفعل أو المصدر. ومثال ذلك لفظ (القارعة) الذي يعني: التي تقرع (القيامة أو الساعة أو الرزيّة التي تقرع قلب صاحبها، أو الحالة التي تقرع فيها الناس

---

[1] يذكر الكفوي في تعريف الاشتقاق أنّه اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروفُ ذلك الأصل، وأنّه من خواص كلام العرب، فإنّهم أطبقوا على أن التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق. انظر: الكليات (ص١١٧).

بالإفزاع والأجرام بالانفطار والانتشار)(١)، على اعتبار أن (ال) هنا هي الموصولية المتصلة بصفة الفاعل، فتكون (ال) بمعنى: التي، وصفة الفاعل بمعنى الفعل، وبهذا المعنى فسَّر النحاة عطف الفعل على صفة الفاعل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]؛ لأن المعنى: إن الذين تصدقوا واللواتي تصدقن وأقرضوا الله قرضا حسنا..(٢)، باعتبار أن الضمير في ﴿أَقْرَضُواْ﴾ عائد على مجموع الذكور والإناث.

وقد تُرجمت (القارعة) عند مازيغ بـ: Le Choc Terrifiant(3)

كاسم معرَّف موصوف، بمعنى: الصدمة المروعة.

وعند جاك بيرك بـ: La Fracassante(4)

وهي تحمل معنى القرقعة ومعنى التحطيم، وهما معنيان واردان في بعض كتب التفسير كما رأينا، ولكنها أيضاً لم تراع معنى الموصولية. بينما اكتفى حميد الله بمعنى الصدمة، وشرحها بكونها صدمة الانفجار ونهاية العالم، إذ ترجمها بـ: Le Coup(5)

وعند الشيخ حمزة بـ: L’assénante(6)

وهذه الترجمة التي تحمل معنى الضرب القوي جاءت كاسم فاعل معرَّف أيضاً، ولكننا نجد صاحبها كأنما استدرك أو فهم معنى الموصولية خلال ترجمته لهذه الكلمة في سياقها في السورة، وهو ما لم يفعله من سبق، إذ ترجم معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٢] بـ:

Celle qui assène! Qu’est ce que celle qui asséne?

---

(١) انظر: أنوار التنزيل (٥/ ٣٧٨)، وجامع البيان (٢٩/ ٤٨)، وروح المعاني (٢٩/ ٤٠).

(٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٤٤٢، وشرح شذور الذهب (٥٢٦).

(3) Le Coran, Sadok Mazigh, p 1157.

(4) Le Coran, Jacques Berque, p 694.

(5) Le Saint Coran, Muhammad Hamidullah, p 600.

(6) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 2/667.

ما الفرق بين اللفظتين كاسم للسورة مرةً، واستخدامها داخل سياق الآية بنفس المعنى مرةً أخرى!!. والأوْلى أن يكون اسم السورة عنده Celle qui assène أيضاً، لأنّ (ال) هنا هي الموصولية ذاتها.

أما الترجمتان الإنجليزيتان فقد ارتضت أولاهما، وهي ترجمة الهلالي وخان، معنى: ساعة القرع، إذ ترجما معنى اسم السورة بـ: The Striking Hour(1)

بينما ترجمه بيكثال بـ: The Calamity(2)

أي الكارثة، أو المصيبة.

والشيء نفسه يقال عن (الذاريات) فقد ترجمها الشيخ أبو بكر بـ: Les ouragans(3) على أنها اسم معرَّف أيضاً بمعنى الرياح، أو الزوابع، أو الأعاصير، ولكن الأستاذ الصادق مازيغ ترجمها بـ: Les Vents qui dispersent(4)

أي الرياح التي تذرو، فكأنه التمس معنى الموصولية في (ال)، وبذلك تكون ترجمته أقرب إلى المعنى الصرفي، وإلى معنى السياق في Les Vents، وهي – كما ذكرنا – الرياح التي تذرو، وإن لم يَجْرِ لها ذكر في اسم السورة أو خلالها، وهو مما يُعرف بداهةً في كلام العرب؛ لأن الموصولية هنا تقترب من العهدية، يقول تمام حسان في ذلك: «أما دلالة (ال) على الموصولية فتتحقق عند اقترانها بالوصف، لأن الوصف مشتق... فإذا اقترن الوصف بـ (ال) صلح أن يحل محله (الذي) أو (التي) ومع كل منهما فعل من مادة الوصف المقترن بـ(ال)، فالمؤمن هو الذي آمن والكافر هو الذي كفر.. وهكذا، ويبقى لها في هذه الحالة عموم الدلالة الذي تتسم به الموصولات؛ فتقترب بالموصولية من معنى الجنس، أي: إن المؤمن كل من آمن، والكافر كل من كفر، أو خصوص الدلالة الذي في

---

(1) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur’ān, p 964.

(2) The Glorious Qur'ân, p 600.

(3) ibid, 2/439.

(4) Le Coran, Sadok Mazigh, p 989.

الوصف؛ فتقرب بها من معنى العهد، إذ يكون المؤمن أحياناً هو الذي ذكر منذ قليل، أو هو المعهود بين المتكلم سبحانه وبين السامع...»(١). وكذلك فعل الأستاذ مازيغ مع (النازعات)، إذ ترجمها بـ Ceux qui arrachent(2) من غير ذِكْرٍ للملائكة المعنيين بهذا، وكان يمكن أن يفعل ذلك مع (الذاريات)، فيترجمها بـ Celles qui dispersent

وقد ترجمها الشيخ أبو بكر بـ: Les arracheuses(3) كما فعل مع سابقتها، والأوْلى من ذلك أن تكون عنده Celles qui arrachent فتجمع الترجمة بذلك بين معنى الصفة (صفة الفاعل) والموصولية التي تقترب بها من معنى العهد، وقد فعل ذلك في سياق الآية حين ترجمها بـ:
J’en jure par celles qui arrachent(4)

وهو بذلك قد استدرك معنى القَسَم أيضاً، وهو معنى دقيق يُحمد عليه.

ويمكننا في الترجمتين الإنجليزيتين أن نلاحظ معنى الموصولية بوضوح، فقد ترجم الهلالي وخان معنى النازعات بـ: Those who pull out(5) أي التي تنزع، وفسَّر ذلك بين قوسين بأنها الملائكة angels، وأن الذي يُنْتَزع هو الأرواح. وترجم بيكثال معنى الموصولية أيضاً بـ: Those who drag forth(6) أي التي تسحب.

ومما يتصل بهذا الباب دخول (ال) للربط؛ فتكون قريبة من الضمير في المعنى؛ لأن الضمير يصلح أن يحل محلها حينئذ، وقد يقرِّبها ذلك من معنى العهد، وإن لم تكن دلالتها خالصة له، وذلك نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞

---

(١) البيان في روائع القرآن (١/ ٣٣ - ٣٤).

(2) Le Coran, Sadok Mazigh, p 1121.

(3) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 2/599.

(4) ibid. 2/600.

(5) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur’ān, p 928.

(6) The Glorious Qur'ân, p 583.

﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] وقوله في نفس السورة: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]، إذ المعنى في الآيتين: هي مأواه، بإحلال الضمير محل (ال). وتأتي فكرة قربها من العهد من احتمال المعنى أن يكون: هي المأوى الذي تعرفونه؛ لأن الذهن يجعل الجحيم عقوبة العصيان ويجعل الجنة جزاء التقوى، ولا يسمح العقل بعكس ذلك(١).

وقد ترجم الشيخ أبو بكر معنى الآيتين – على الترتيب – بـ:

son refuge sera l’enfer

وبـ: son asile sera, certes, le paradis(2)

وبغض النظر عن اختلاف ترجمة معنى المأوى معجمياً بين الآيتين، فإن الشيخ قد أدرك أن (ال) هنا بمعنى الضمير، ولذلك جاء بـ son الدالة عليه. كما وُفِّق في ترجمة المعنى الإضافي – الذي يُقرِّب (ال) من معنى العهد الذي شرحناه في الآيتين قبل قليل – بإدراجه في ترجمة معنى الآية الثانية لـ certes الدالة على معنى تحققه كأمر مُسَلَّم به، كما شرحناه آنفاً. وهو ما تفطن إليه الأستاذ مازيغ في ترجمته لمعنى الآية الأولى أيضاً، إذ ترجمها بـ: L’enfer, en vérité, sera son refuge(3)

ومن أمثلة (ال) أيضاً أن تدل على كمال ما تتصل به، وتسمى حينئذ (الكمالية)، وهي في حقيقة أمرها الجنسية، لأن الجنسية إما لاستغراق الأفراد، وهي التي تخلفها (كلّ) حقيقة نحو: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]، ونحو: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ٢]، أو لاستغراق خصائص الأفراد، وهي التي تخلفها (كل) مجازاً نحو: زيد الرجل علماً، أي الكامل في هذه الصفة(٤)، وكقولك: زيد الرجل، أي الذي اجتمع

---

(١) انظر: البيان في روائع القرآن (١/ ٣٣، ٣٤).

(2) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 2/602.

(3) Le Coran, Sadok Mazigh, p 1123.

(٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٧٣).

فيه صفات الرجال المحمودة(١). وقد جعل النحاة والبلاغيون من ذلك (ال) المتصلة بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وفسّروا بذلك كون ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ توكيداً لـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، يقول صلاح الدين بن كَيْكَلْدي: «فإن وزان ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ في الآية وزان نفسه في قولك: جاءني الخليفة نفسه، فهو بيان وتحقيق مؤكد، لأنك لم ترد بقولك: جاءني الخليفة المجاز، فكذلك الآية فإنه لما بولغ في وصفه بالكمال، وبلوغه الدرجة القصوى منه؛ لجعله المبتدأ ذلك وتقدير الخبر باللام، فكان نفيُ الريب عنه تأكيداً لكماله كأنه قال: هو ذلك الكتاب»(٢)، وأضاف القَزْويني أن هذا نوع من أنواع كمال الاتصال، وذلك بأن تُنَزَّل الجملة الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير، مع الاختلاف في المعنى(٣)، وقال عبد القاهر في ذلك أيضاً: «ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ قوله: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبته. وليس تثبيت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضامّ يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه»(٤). ومن هنا فإنه كما لا يحتاج التوكيد - في المفردات إلى عاطف يتوسط المؤكِّد والمؤكَّد، فكذلك ينبغي في الجمل، وما التوكيد في الآية لكمال هذا الكتاب - المستفاد من (ال) - إلا بنفي الريب والشك عنه.

وإذا ما عدنا إلى الترجمات الفرنسية لنرى مدى توفيق المترجمين في فهم هذا المعنى الدقيق فإننا نجد ترجمة الشيخ حمزة قد أشارت إلى معنى التعريف مطلقاً، دون التعرض

---

(١) شرح شذور الذهب (١/ ١٩٥).

(٢) الفصول المفيدة في الواو المزيدة (١/ ١٣٠ - ١٣١).

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ١٤٨).

(٤) دلائل الإعجاز (١/ ١٧٧).

إلى معنى الكمال الذي نصت عليه (ال)، والذي نص عليه العلماء المتذوقون، فقد ترجمها بـ: Ce Livre, sur lequel il n'y a point de doute[1]

وكذلك فعل حميد الله وجاك بيرك، إذ جاء في ترجمة الأول ما نصه:
Ce Livre, point de doute[2]
وفي ترجمة الثاني: Voila l'Ecrit que nule doute n'entache[3]
بخلاف الأستاذ مازيغ الذي ترجمها بـ:
Voici le Livre par excellence, sans nul doute[4]

فأضاف معنى الكمال إلى الكتاب بجعله مثالياً أو في أعلى درجة، وذلك من خلال تركيب بأكمله هو: par excellence

وقد خلت الترجمتان الإنجليزيتان عن معنى الكمال في التعريف أيضاً، فجاءت ترجمة الهلالي وخان بـ: This is the Book (the Qur'ân) , whereof there is no doubt[5]
وترجمة بيكثال بـ: This is the Scripture whereof there is no doubt[6]

دلالة التعجب من خلال صيغة الفعل:

وفي صيغ الأفعال نجد أن الفعل قد ينتقل من معناه الوظيفي الأساسي، وهو الدلالة على الحدث والزمن، ليؤدي معنى خالفة التعجب ويقوم بوظيفتها في السياق، ويطّرد هذا المعنى في صوغ (فَعَل) على وزن (فَعُل) من كل فعل صالح لشروط التعجب للدلالة على وظيفة إفصاحية، إذ ليس المقصود بالمعنى الوظيفي للفعل في مثل هذه الحالة الإخبار كما يخبرون بالفعل من باب (كرُم)(٧).

---

(1) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/08.
(2) Muhammad Hamidullah, Le Saint Coran, p 02.
(3) Le Coran, Jacques Berque, p 25.
(4) Le Coran, Sadok Mazigh, p 09.
(5) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur'ān, p 02.
(6) The Glorious Qur'ân, p 02.

(٧) أقسام الكلام (٢٨٤).

ومما جاء من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: ٥]، إذ المعنى: عَظُمَتْ الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولداً، والملائكة بنات الله(١)، أو عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ(٢). ثم وصف الكلمة بقوله: تخرج من أفواههم، وفائدة هذا الوصف استعظام اجترائهم على التفوه بها(٣). ومعنى التعظيم هنا أنه على معنى التعجب، إذ التعجب - كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون - هو استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره، أو هو تعظيم الأمر في قلوب السامعين(٤). وقال الألوسي عن (فعُل) هذه: «وكذا كل ما كان على وزن (فعُل) موضوعاً على الضم كظرُف، أو محوّلاً إليه من فعل أو فعل، ذهب الأخفش والمبرد إلى إلحاقه بباب التعجب...، وأكثر النحاة إلى إلحاقه بباب نعم وبئس...، وفي التسهيل أنه من باب نعم وبئس وفيه معنى التعجب، والمراد به هنا تعظيم الأمر في قلوب السامعين»(٥)، وقد ذكر في موضع آخر أن الثلاثي المحول إلى (فعُل) لفظاً أو تقديراً موضوع للتعجب كما صرح به النحاة(٦).

ورأى عباس حسن - من المحدَثين - أنّ الأصل العام أنْ يقتصر كل فعل تحتويه الجملة المفيدة على تأدية معنى واحد مناسب يُكتفى به، ولا ينضمُّ إليه معنى آخر. وأنّ هذا الأصل العام ينطبق على أكثر الأفعال الثلاثية، حيث يقتصر كل فعل

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٩٤).

(٢) أنوار التنزيل (٣/ ٤٧٦).

(٣) فتح القدير (٣/ ٢٧٠)، وأنوار التنزيل (٣/ ٤٧٧).

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٩٠).

(٥) روح المعاني (١٥/ ٢٠٤).

(٦) انظر: نفس المصدر (١٩/ ٣).

منها على تأدية معناه الخاص الواحد من غير دلالة معه على مدح أو ذم أو تعجّب، غير أنه من الممكن أن يدخل شيء من التغيير على صيغة الفعل ليصير على وزن معيّن - كصيغة (فعُل) التي نحن بصدد الحديث عنها -؛ فيؤدي معناه الأصلي الخاص مع زيادة في الدلالة، تتضمّن المدح بهذا المعنى اللغوي الخاص، أو الذم به، كما تتضمّن - في الوقت نفسه - الإشعار بالتعجّب في الحالتين: أي حالة المدح، أو حالة الذم. فالزيادة الطارئة على المعنى اللغوي للفعل بعد تغيير صيغته تتضمن الأمرين معاً: المدح مع التعجب، أو الذم مع التعجب(١).

وكل هذا يعني أن (كبُرت) في الآية يُقصد بها معنى التعجب، ولاسيما إذا علمنا أن الكبر يستعار للعظمة في كثير من المواقف(٢)، وقد رأينا أن التعجب هو تعظيم الأمر في قلوب السامعين، أو استعظام الصفة التي خرج عليها.

وقد ترجم الشيخ أبو بكر هذه الآية بـ:

Ce que leurs bouches expriment est un blasphème grave(3)

على معنى التعظيم الذي يُستفاد من التعجب، وهو بذلك قد أدى المعنى المراد من التعجب (تعظيم الأمر لدى السامعين)، ولكن بصيغة أخرى غير صيغة التعجب التي تجعله أقوى.

كما ترجمها الأستاذ مازيغ بـ:

Monstrueux blasphèmes que ce qu'ils profèrent et mensonge évident!(4)

أي: شتيمة هائلة هذه التي تلفَظُّوا بها وبهتان واضح. وقد أضاف إلى معنى العظمة Monstrueux، دلالة التعجب بإيراده لعلامة الترقيم (!) الدالة عليه. بينما نجد حميد

---

(١) انظر: النحو الوافي (٣/ ٣٨٤، و٣٨٧ - ٣٨٨).

(٢) انظر: روح المعاني (٢٢/ ٩٤).

(3) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/423.

(4) Le Coran, Sadok Mazigh, p 549.

الله قد أتى مباشرة بصيغة التعجب، فترجم معنى الآية بـ:

Quelle énormité que la parole qui sort de leurs bouches!(1)

ولم تلتفت الترجمتان الإنجليزيتان إلى معنى التعجب، واكتفتا بذكر لفظ التعظيم للكلمة المنطوق بها، فجاءت ترجمة الهلالي وخان كما يلي:

mighty is the word that comes out of their mouths(2).

وفي ترجمة بيكثال جاء ما نَصُّه:

Dreadful is the word that cometh out of their mouths(3).

ونظير ما سبق من دلالة (فعُل) على التعجب ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]، إذْ يذكر الطاهر بن عاشور أنّ (حسُن) فعلٌ مراد به المدح ملحق بنِعْم، ومضمّن معنى التعجب من حسنهم، وذلك شأن (فعُل) - بضم العين - من الثلاثي أن يدل على مدح أو ذم بحسب مادته مع التعجب. وأصل الفعل حسَن - بفتحتين - فحُوّل إلى فعُل - بضم العين - لقصد المدح والتعجب. و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ فاعل ﴿حَسُنَ﴾، و﴿رَفِيقٗا﴾ تمييز، أي ما أحسنهم حسنوا من جنس الرفقاء(٤). وقال الزمخشري: «﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾، فيه معنى التعجب، كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقاً، ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ (وحَسْن) - بسكون السين - يقول المتعجب: حَسُن الوجهُ وجهَك، وحَسْن الوجهُ وجهَك، بالفتح والضم مع التسكين»(٥).

ولم يتفطن مازيغ لمعنى التعجب فجاء بمعنى الآية خلواً منه، إذ اعتبر أنّ المتحدَّث عنهم سيكونون أحسن الرفقاء، وهذا نص ترجمته:

---

(1) Muhammad Hamidullah, Le Saint Coran, p 294.

(2) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur'ān, p 446.

(3) The Glorious Qur'ân, p 294.

(٤) انظر: التحرير والتنوير (٥/ ١١٦).

(٥) الكشاف (١/ ٢٥٥).

Ce seront là les meilleurs des compagnons(1).

بينما تفطن له حميد الله، وحمزة بو بكر، فجاءت ترجمتها على التوالي:
Et quels bons compagnons que ceux - là!(2).
Quels bons compagnons!(3).

كما تفطنت له الترجمة الإنجليزية، إذ جاء في ترجمة الهلالي وخان ما نصّه:
And how excellent these companions are!(4).

ومثلُه ما جاء في قوله تعالى: ﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦]، إذ أَوْرَد الزجّاج أنّ معنى ﴿سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾: بئس شيئاً عملُهم(٥)، وذكر الزمخشريّ - وتَبِعَه في ذلك الرازي - أنّ فيه معنى التعجب، فكأنّه قيل: وكثيرٌ منهم ما أسوأ عملهم(٦). وهم بذلك قد جعلوا (ساء) فعلًا جامداً غير متصرِّف، وهو في هذه الحالة مُلحق بـ (بئس) ويتضمّن معنى التعجب، إلّا أنّ أبا حيّان ذكر أنّ ابن عطيّة جعلها (ساء) المتصرّفة كما تقول: ساء الأمر يسوء، فتحتاج حينئذٍ إلى تقدير مفعول، أي ساء ما كانوا يعملون بالمؤمنين(٧). ويبدو أن اختيار كونها المتصرِّفة هو رأي القاضي أبي محمّد، لقول ابن عطيّة بعد ذلك: «... وفي هذا نظر»(٨)، فكأن ابن عطيّة يُرجّح أن تكون (ساء) في هذه الآية غير المتصرّفة المفيدة معنى الذّم المتضمّن للتعجّب.

ولم يورد جاك بيرك هذا المعنى - الذي هو التعجب - في ترجمته، إذ ترجم معنى الآية بـ: Mais de beaucoup d’entre eux les actions sont mauvaises(9)

---

(1) Le Coran, Sadok Mazigh, p 169.
(2) Muhammad Hamidullah, Le Saint Coran, p 89.
(3) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/106.
(4) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur’ān, p 139.
(٥) معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٩٢).
(٦) انظر: الكشاف (٢/ ٣٨)، والتفسير الكبير (١٢/ ٤١).
(٧) انظر: المحرّر الوجيز (٢/ ٢١٧)، والبحر المحيط (٣/ ٥٢٨).
(٨) المحرّر الوجيز (٢/ ٢١٧).
(9) Le Coran, Jacques Berque, p 131.

بينما تَفطَّن له كُلٌّ من حميد الله وحمزة بو بكر، فترجم الأول معنى الآية بـ:
Mais pour beaucoup d’entre eux, comme est mauvais ce qu’ils oeuvrent!(1)
وترجمه الثاني بـ: Combien sont infâmes les actes de beaucoup d’entre eux(2)

كما أن الترجمتين الإنجليزيتين لم تورداه في معنى الآية، فقد جاءت ترجمة الهلالي وخان مثلاً على النحو التالي: but many of them do evil deeds(3)

من المعاني الإيحائيّة في الصيغ الصرفية:

ومما يتعلق بما توحي به بعض الصيغ من معان بعينها كما رأينا في الألوان والأدواء وغيرها، ما جاء في قوله تعالى على لسان المشركين: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥]، إذ الصيغة الأصلية (عجيب)، ولكن القرآن عدل عنها إلى هذه الصيغة، وهي (فُعال) التي تُعتبر من صيغ الأدواء (جمع داء)، مثل الصُّداع والزُّحار والسُّعال، مما قد يعني أن المشركين أرادوا الإيحاء بأن ما جاء به النبي ﷺ من الأمر بالتوحيد كان مكروهاً عندهم كراهية الداء(٤). ولعلّ هذه المعاني الإيحائية التي تمتلكها بعض الصيغ في اللغة العربية هي من بين الخصائص التي أودعها الله في هذا اللسان المبين، وقد لا يمكن تأديتها، ولا التعبير عنها في اللغة الهدف. وقد تُرجمت دلالة هذه اللفظة عند

مازيغ بـ: Voilà qui est bien étrange!(5)
وعند الشيخ حمزة بو بكر بـ: Voilà une chose vraiment singulière!(6)
وعند حميد الله بـ: Voila une chose vraiment étonnante(7)

وبغض النظر عن موافقة الترجمات لأصل المعنى، وهو الاستغراب والتعجب، فإن المعنى الذي توحي به الصيغة – كما شرحناه آنفاً – لم يتحقق فيها.

---

(1) Muhammad Hamidullah, Le Saint Coran, p 119.
(2) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 1/140.
(3) Interpretation of the Meanings of The Noble Qur’ān, p 183.

(٤) انظر: البيان في روائع القرآن (ص ٤٣٣).

(5) Le Coran, Sadok Mazigh, p 851.
(6) Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza, 2/212.
(7) Muhammad Hamidullah, Le Saint Coran, p 453.

اختيارات القرآن للصيغ وأثر ذلك في الدلالة:

ما دامت الصيغ الصرفية حاملة للمعاني كما رأينا، فإن القرآن الكريم حينما يختار صيغة لكلمة ما فإنه يقصد إلى ما تعبّر عنه تلك الصيغة من معنى ينبغي أن يلاحظ في تفسير الآية، وهذا التفسير مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالترجمة كما نعلم، ومن ثم فإن على المترجم أن يلاحظ ذلك المعنى الصيغي، ولا يغفله في أثناء الترجمة.

فالقرآن الكريم حينما اختار صيغة (تفعيل) لمصدر الفعل (فَعَّل) في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: ٨]، لأن مصدر (تَفَعَّل) هو (التفعُّل) كتعَلَّم تعَلُّماً، ومصدر (فَعَّل) هو (التفعيل) كعلَّم تعليماً، فكان المتوقع أن يكون في الآية: ﴿تَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾، أو بَتِّل نفسك إليه تبتيلاً، ولكن القرآن اختار الفعل (تبتَّل)؛ لأن (تفعَّل) تفيد التدرج والتكلُّف، مثل (تجسَّس وتبصَّر، وتلمَّس)، أما المصدر فاختار له (تبتيلاً)؛ لأنّه مأخوذ من (فعَّل) فيفيد التكثير والمبالغة، مثل: (التكسير والتقطيع) من (كسَّر وقطَّع)، فجاء القرآن بالفعل لمعنى التدرج والتكلف، وبالمصدر لمعنى التكثير والمبالغة؛ ففُهِم المعنيان منهما بأوجز ما يكون اللفظ⁽¹⁾.

وقد أورد بعض أصحاب ترجمات معاني القرآن لمعنى المبالغة الذي يبدو أنهم استفادوه من وجود المصدر دون ربطه بالصيغة التي نتجت عن (فعَّل)، مع اختلافهم في فهم المعنى المراد منه تلك المبالغة فقد ترجم جاك بيرك معنى الآية بـ:

Rappelle le Nom de ton Seigneur et te dévoue a Lui profondément[2]

إذ يظهر معنى المبالغة في قوله: profondément، أي: انقطع إليه بعمق. وترجمها صادق مازيغ بـ:

Voue - toi sincérement a Lui[3]

---

(١) انظر: التفسير القيم لابن القيم (ص ٥٠١ - ٥٠٢).

(2) Le Coran, p 643.

(3) Le Coran, p 1101.

أي: بإخلاص. وترجمها الشيخ أبو بكر بـ:
consacre - toientierement a son culte(1)

أي كرِّس نفسك كليّاً لعبادته. وترجمها حميد الله بـ:
incline - toi d’inclination vers Lui(2)

أي: مِلْ إليه كلَّ الميل، أو ارغب إليه رغبةً. أما معنى التكثير ومعنى التدرج والتكلف – وهما معنيان صرفيان في العربية كما رأينا – فلا يكادان يُلْحظان في هذه الترجمات.

وما قيل عن الترجمات الفرنسية يقال عن الإنجليزية، إذ جاء في ترجمة الهلالي وخان:
devote yourself to Him with a complete devotion(3)

وكذلك فعل بيكثال(٤).

ومثله في ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]، إذ القياس أن يقال: (أن يضلهم إضلالاً)؛ لأن مصدر (أضلَّ): الإضلال، أما الضلال فهو مصدر (ضلَّ)، كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، والمعنى أن الشيطان يريد أن يضلهم فيضلوا ضلالاً بعيداً، فجمع القرآن بالفعل والمصدر بين المعنيين الإضلال والضلال. فالشيطان بهذا المعنى يريد أن يضلهم ثم يريد بعد ذلك أن يَضِلُّوا هم بأنفسهم، فهو يبدأ المرحلة وهم يتمّونها(٥).

بيد أن جُلَّ الترجمات لم تراع هذا التفريق الدلالي الذي جاء بين الفعل والمصدر، إذ لا يشعر القارئ لتلك الترجمات بالمعنى القرآني المستوحى من صيغة المصدر، وهو ضلالهم لا مجرد إضلالهم، فنجد جاك بيرك يسوق ترجمته على النحو التالي:
mais Satan veut les égarer d’un égarement radical(6)

---

(1) Le Coran, 2 /571.
(2) Le Saint Coran, p 574.
(3) The Noble Qur’an, p 908.
(4) The Glorious Qur’an, p 574.

(٥) التعبير القرآني (ص ٣٦).

(6) Le Coran, p 104.

أي: إضلالاً مطلقاً، وإنما ذكرنا هذا المعنى لأنه لا يوجد في ترجمته - والترجمة تفسير للمعنى - ما يدل على أنهم انغمسوا في الضلال بأنفسهم، بعد أن كانت البداية في الإضلال من الشيطان، ولكن جاك بيرك مع ذلك يُعَدُّ أقرب من نقل معنى الآية لِما نجده فيها من ذكر المصدر، الأمر الذي لا نكاد نجده عند غيره، فقد ترجم مازيغ معنى الآية بـ: Satan lui - même se plaît à les égarer sans fin(1)

أي يريد أن يضلهم بلا نهاية، وترجمها الشيخ أبو بكر بـ:
Satan veut les [pousser] très loin dans l’égarement(2)

أي يريد الشيطان أن يدفعهم بعيداً في الضلال، وترجمها حميد الله بـ:
Mais le Diable veut les égarer loin dans l’égarement(3)

أي يريد الشيطان أن يضلهم بعيداً في الضلال.

وما قيل عن الترجمات الفرنسية يقال عن الترجمتين الإنجليزيتين، إذ ترجم الهلالي وخان معنى الآية بـ: But Satan wishes to lead them far astray(4)

أي لكن الشيطان يريد أن يقودهم إلى ضلال بعيد، وترجمه بيكثال - وتبدو ترجمته أحسن من سابقيه - بـ: Satan would mislead them far astray(5)

أي يريد الشيطان أن يضلهم إضلالاً بعيداً.

ومن ذلك أن يستعمل القرآن صيغة جمع في سياق، ثم يستعمل صيغة جمع أخرى في سياق آخر، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] مع قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ

---

(1) Le Coran, p 167.
(2) Le Coran, 1/104.
(3) Le Saint Coran, p 88.
(4) The Noble Qur’an, p 137.
(5) The Glorious Qur’an, p 88.

يَابِسَـٰتٍۖ﴾ [يوسف: ٤٣]، «فأنت ترى أن العدد في الآيتين واحد وهو سبع، ولكن استعمل معه: (سنبلات) مرة، ومرة أخرى (سنابل)، وسر ذلك أن سنابل جمع كثرة وسنبلات جمع قلة، وقد سيقت الآية الأولى في مقام التكثير ومضاعفة الأجور فجيء بها على (سنابل) لبيان التكثير. وأما قوله ﴿سَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ﴾ فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير»⁽¹⁾.

وقد أجمعت الترجمات الفرنسية والإنجليزية على عدم التفريق بين السنابل والسنبلات، ربّما لأنّ أصحابها لم يجدوا المعادل الصيغي للجمعين (جمع الكثرة وجمع القلّة)، فاكتفوا بذكر الجمع الوارد في اللغتين الفرنسية والإنجليزية؛ وبذلك فقد أهملوا تفريق القرآن بين المعنيين وربطهما بسياق كلٍّ من الآيتين. وسنكتفي لبيان ذلك بالاعتماد على ترجمة جاك بيرك، وترجمة الهلالي وخان لمعنى الآيتين، جاء في ترجمة جاك بيرك لآية البقرة:

est celle d’un grain don’t poussent sept épis[2]

وجاء في ترجمته لآية يوسف: et puis sept épis verts[3]

وترجم الهلالي وخان معنى آية البقرة بـ: it grows seven ears[4]

ويوسف بـ: and seven green ears of corn[5]

وفي هذا الإطار يمكن ربط الصيغة التي تأتي عليها الكلمة بالسياق العام الذي للنص الشعري أو النثري، ولعل من أمثلة ذلك ما حدث لحسان بن ثابت والنابغة، حيث إن حساناً في قوله:

---

(١) نفس المرجع (ص ٤٠).

[2] Le Coran, p 64.
[3] Ibid, p 249.
[4] The Noble Qur’an, p 68.
[5] Ibid, p 359.

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يلمعن بالضحى   وأسيافنا يَقْطُرن من نَجْدةٍ دَما

اختار لجفانه وسيوفه - من البدائل الكثيرة على مستوى الصيغة - ما يدل على القلّة، الأمر الذي عابه عليه النابغة بقوله: (قللت جفانك وسيوفك...)، فالسياق سياق فخر، والفخر يستدعي التباهي بكثرة القرى وكثرة السيوف، وهذا ما لم يتجسد في اختيار حسان لصيغ جمع القلة في مقابل صيغ جمع الكثرة، بخلاف قول الآخر:

إذا نزل الأضياف كان عـذَوَّرا   على الحي حتى تستقلَّ مراجِلُه

إذ المراد بـ (الأضياف) جمع القلة، ولم يقل (الضيوف أو الضيفان)، وذلك أمدح؛ لأنه إذا قرى الأضياف وهم قليل بقدور الحي أجمع، فما ظنك به لو نزل به الضيفان الكثيرون!⁽¹⁾.

ومن اختيارات القرآن كذلك مجيئه بلفظ (نَهَر) و(أنهار) مع لفظ (جنّات)، وهو جمعٌ موافق للجمع في (أنهار)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الحج: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٥] وفي آيات كثيرات هي أكثر من أن تُحصى. ولكن القرآن الكريم اختار مع هذا الجمع الذي هو (جنات) في سياق آخر لفظ (نَهَر)، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ [القمر: ٥٤]؛ لأمرين: أحدهما يتعلق بالتناسب الصوتي الذي فيه مراعاة للفواصل، والثاني معنوي لإفادة كلمة (نهر) معنى غير الذي تفيده (أنهار)، لأنّ المقصود بالنهَر هو الأنهار وزيادة، فالنهَر رغم مجيئه بصيغة الإفراد إلا أنّ معناه الجمع، أي الأنهار، وذلك لأنّ العرب قد تضع لفظ الواحد للدلالة على الجمع، قال سيبويه: «وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميع... ومما جاء في الشعر على لفظ الواحد يُراد به الجميع:

كُلوا في بعض بطنكم تَعِفُّوا   فإنّ زمانكم زمنٌ خميص»⁽²⁾.

---

(1) انظر: الخصائص (٢/ ٢٠٥ - ٢٠٦).

(2) الكتاب (١/ ٢٠٩ - ٢١٠).

والشاهد فيه وضع البطن موضع البطون؛ لأنّه اسم جنس ينوب واحده عن جمعه، وقد دلَّ على ذلك إضافته إلى ضمير الجماعة، إذ لا يكون للجماعة بطن واحد(١)، وهذه هي القرينة التي دلّت على أن معناه معنى الجمع، ولذلك قال ابن يعيش - معلّقاً على كلام سيبويه تجويز ذلك -: «وهذا إنّما يكون عند عدم اللَّبْس»(٢). وقد أخذ الزجاج بكلام سيبويه في تفسير هذه الآية فذكر أن المعنى: في جنات وأنهار(٣).

كما استدلَّ كثير من علماء التفسير على أن معنى (نهر): الأنهار، بما جاء في كثير من الآيات في هذا المعنى، فقد قال الحلبي: «وقوله: (ونهر) العامة على الإفراد، وهو اسم جنس بدليل مقابلته للجمع»(٤)، وقال ابن عاشور: «والمراد به اسم الجنس الصادق بالمتعدد لقوله تعالى: ﴿مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾(٥). وذكر صاحب (أضواء البيان) أن هذه الآية يفسرها قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [محمد: ١٥] (٦)، مما يعني أنّ النهَر عنده بمعنى الأنهار المذكورة.

هذا ما اتفق فيه لفظ (نهَر) و(أنهار)، أما الزيادة التي تميّز بها اللفظ الأول فهي دلالته على الاتساع والضياء، قال الزمخشري: «وقيل: هو السعة والضياء من النهار»(٧)، وذلك - كما أضاف الحلبي - لأنّ المادة تدل على ذلك(٨)، إذ يقال في اللغة:

---

(١) انظر: شرح المفصل (٤/ ١٢).

(٢) نفس المصدر (٤/ ١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٩٣).

(٤) الدر المصون (٦/ ٣٣٤).

(٥) التحرير والتنوير (٢٧/ ٢٢٥).

(٦) انظر: (١٠/ ٢٨٠).

(٧) الكشاف (٦/ ٦٠).

(٨) الدر المصون (٦/ ٢٣٤).

النهَر - محرّكة -: السعة، واستنهر النهر: اتّسع، وأنهرت فتق الضربة: وسّعته⁽¹⁾، وقال ابن سيده - وهو يتحدث عن معنى النهر -: «أصل ذلك من السعة والفسحة وفُسّر في التنزيل في (جنات ونهر)، أي في ضوء وفسحة، والنهار من ذلك مأخوذ»⁽²⁾؛ لأنّ النهار - كما يذكر الكفوي - ضوء واسع ممتد من طلوع الشمس أو الفجر إلى الغروب⁽³⁾. وهكذا ندرك أن المراد بالنهر ليس الأنهار فحسب، بل هي وما يتمتع به المتقون من فسحة واتساع وضياء؛ لأنّه لا ليل في جنات الخلد.

ولم تعرف ترجمات معاني القرآن مثل هذا التفريق بين الكلمتين (أنهار) و(نهَر)، فأوردت معناهما بنفس الكلمة، سواء في الفرنسية أو الإنجليزية، فقد جاء في ترجمات كل من حمزة بو بكر وجاك بيرك وحميد الله أنّ الأنهار والنهر في الآيات التي ذكرناها سابقاً بمعنى: Les Ruisseaux، أي الجداول. وكذلك فعلت الترجمتان الإنجليزيّتان، إذ ورد في معنى الكلمتين لفظ: Rivers. ونضيف هنا أنّ ترجمة معاني القرآن التي أشرف عليها الأزهر الشريف، رغم أنّ التفسير المقابل للترجمة قد ورد فيه - في تفسير كلمة نهَر -: وأنهار متعددة الأنواع، إلّا أن الترجمة جاءت كغيرها من الترجمات الإنجليزية بـ Rivers⁽⁴⁾.

---

(١) انظر: أساس البلاغة (ص٦٦٠).

(٢) المخصص (مج ٣ ج١٠ ص٣٠).

(٣) الكليات (٩١٠).

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغتين العربية والإنجليزية. الأزهر - وزارة الأوقاف، القاهرة (ط٢)، ٢٠٠٦م، (ص٩٠٦٩).

قائمة المصادر والمراجع

الكتب باللغة العربية:

- أساس البلاغة، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر). دار الفكر، بيروت. ٢٠٠٠م.
- الأضداد، ابن الأنباري (أبو بكر محمّد بن القاسم). ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (محمّد الأمين). عالم الكتب، بيروت. دون ت. ط.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، الساقي (فاضل مصطفى). مكتبة الخانجي، القاهرة. ١٩٧٧م.
- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل، الرازي (أبو بكر بن عبد القادر). ت: محمّد رضوان الداية. ط٢ دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق. ١٩٩٥م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر). ت: عبد القادر عرفات العشا حسونة. دار الفكر، بيروت، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (جلال الدين محمّد بن عبد الرحمن). ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت. ١٩٨٨م.
- البحر المحيط، الأندلسي (أبو حيّان أثير الدين محمّد بن يوسف). ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
- البيان في روائع القرآن، حسان (تمام). ط٢. عالم الكتب. ٢٠٠٠م.

- التبيان في إعراب القرآن، العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٢٠٠١م.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور (محمّد الطاهر). الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر. ١٩٨٤م.
- التحليل النحوي أصوله وأدلّته، قباوة (فخر الدين). مكتبة لبنان ناشرون، ط١ الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان. ٢٠٠٢م.
- التعبير القرآني، السامرّائي (فاضل صالح). ط٣ دار عمّار، عمّان، الأردن. ٢٠٠٤م.
- التفسير القيم لابن القيم (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر). جمع: محمد أويس الندوي، ت: محمد حامد الفقي. ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠٢م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي (فخر الدين محمّد بن عمر). ت: عماد زكي البارودي. المكتبة التوفيقية، القاهرة. ٢٠٠٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (ابن جرير محمّد بن محمّد). دار الفكر، بيروت. ١٤٠٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد). ت: أحمد عبد العليم البردوني. ط٢ دار الشعب، القاهرة. ١٣٧٢هـ.
- الخصائص، ابن جني (أبو الفتح بن عثمان) دون تاريخ طبع، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي (أحمد بن يوسف). ت: علي معوّض وآخرين. ط١ دار الكتب العلميّة، بيروت. ١٩٩٤م.

- دلائل الإعجاز، الجرجاني (عبد القاهر). ت: السيد محمد رشيد رضا. دار المعرفة، بيروت، لبنان. دون ت. ط.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي (أبو الفضل محمود). دار إحياء التراث العربي، بيروت. دون ت. ط.
- شذا العرف في فن الصرف، الحملاوي (أحمد بن محمد).ت: عبد الحميد هنداوي. ط٣. دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠٠م.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام الأنصاري (جمال الدين). ت: عبد الغني الدقر. ط١. الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق. ١٩٨٤م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن). ت: ح. الفاخوري. ط١ دار الجيل، بيروت.
- شرح كافية ابن الحاجب، الإستراباذي (رضي الدين). دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٩٥م.
- شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش (أبو البقاء موفّق الدين). ت: إميل بديع يعقوب. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠١م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (محمّد بن علي). دار الفكر، بيروت. دون ت ط.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة، ابن كيكلدي (أبو سعيد صلاح الدين بن عبد الله العلائي). ت: حسن موسى الشاعر. ط١ دار البشير، عمان. ١٩٩٠م.
- الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان). ت: عبد السلام محمد هارون. ط١ دار الجيل، بيروت.

- كشّاف اصطلاحات الفنون، التهانوي (محمّد علي بن علي بن محمّد)، ت: أحمد حسن بسج. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٩٩٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر). ت: محمّد مرسي عامر، وشعبان محمّد إسماعيل. ط٢ دار المصحف، القاهرة. ١٩٧٧م.
- الكليات، الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى). ت: د.عدنان درويش، ومحمد المصري. ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت. ١٩٩٨م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، حسان (تمام). الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ١٩٧٣م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الغرناطي (أبو محمّد عبد الحق بن أبي بكر). ت: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١ دار الكتب العلمية، بيروت. (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- المخصص، ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل). ت: لجنة تحقيق التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت. دون ت. ط.
- معاني القرآن، الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد). ت: محمّد علي النجّار، وأحمد يوسف نجاتي. دار السرور. دون ت. ط.
- معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري). ت: عبد الجليل عبده شلبي. ط١ عالم الكتب، بيروت. ١٩٨٨م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (جمال الدين). ت: محمّد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. ١٩٩٥م.

- المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغتين العربية والإنجليزية. ط٢ الأزهر – وزارة الأوقاف. القاهرة. ٢٠٠٦م.
- النحو الوافي، حسن (عبّاس). المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، مكّة المكرّمة. دون ت. ط.

الكتب باللغة الأجنبية:

باللغة الفرنسية:

- Le Coran, Sadok Mazigh, Maison Tunisie de l’édition.
- Le Coran, Cheikh Boubakeur Hamza. ENAG/Edition, Alger, Algerie, 1989.
- Le Coran, Jacques Berque, Sindbad, Paris,1990.
- Le Saint Coran, Amana, Mouhammad Hamidallah Corporation, France.1989.

باللغة الإنجليزية:

- Interpretation of the Meanings of The Noble Qur’ān, Muhammad Muhsin Khân, and Muhammad Taqi-ud-din Al-Hilāli. Maktaba Dar-us-Salam, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, 1994, p 447.
- The Glorious Qur’ān, Marmaduke Pickthall. Bi-lingual Edition, 1996.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

ملخص البحث.................................... ١٢٣

تمهيد.. ١٢٤

دلالة الصيغة الصرفية الواحدة على أكثر من معنى، وأثر ذلك في التفسير والترجمة.... ١٢٩

الترجمة والمعادل الصرفي.............................. ١٤٢

من معاني (ال).. ١٤٤

دلالة التعجب من خلال صيغة الفعل.................... ١٥٠

من المعاني الإيحائيّة في الصيغ الصرفية.................. ١٥٥

اختيارات القرآن للصيغ وأثر ذلك في الدلالة............ ١٥٦

قائمة المصادر والمراجع................................ ١٦٣

الكتب باللغة العربية................................... ١٦٣

الكتب باللغة الأجنبية.................................. ١٦٧

فهرس الموضوعات..................................... ١٦٨